النّخلة وفنّ السّعفيّات

د. عبد الكريم محمد كندير
كلية الفنون والإعلام – جامعة الفاتح

المقدمة

تعتبر شجرة النخيل ذات أهمية خاصة دون سائر الشجر لسبب جلي وواضح وهو أن هذه الشجرة الموغلة في القدم دونت عبر التاريخ الإنساني بالصورة والنص على أنها مرتبطة إرتباطاً وثيقاً بعادات الإنسان وتقاليده ومعتقداته، ناهيك عن مده بالمأكل والمشرب والملبس والمسكن.. فتوارثتها الأجيال عبر القرون متواصلة معها من الحاجة الملحة إلى الرفاهية المفرطة في كل مناحي الحياة، وتعتبر النخلة رمزاً للبيئة الصحراوية لتكيفها مع درجات الحرارة المرتفعة والجفاف والملوحة وسائر التقلبات المناخية، وتعد النخلة من النباتات أوحادية الساق حيث يصل طولها إلى (24 متر) وأوراقها الريشية التي تسمى (سعف) يتراوح طولها من 24 إلى 37 سم.. ورغم أن النخل مسجل منه أكثر من (500 صنف)، إلا أن المصادر العلمية تقول بوجود 90% من هذه الأصناف بالوطن العربي [1]

وفي اللغة العربية جاءت النخلة في أكثر من لفظ (فالنخل : شجر الرطب والثمر، واحدتها نخلة وجمع النخل نخيل كعبد وعبيد، والنخل من العرب من يؤنثه، ومنهم من يذكره، فتقول النخل الباسق، والنخل الباسقة، وجاء الكتاب باللغتين فأما النخيل فمؤنث عند الجميع [2].

كما ورد ذكر النخل في القرآن الكريم (20 مرة) على أربعة أوجه، فورد لفظ (النخل) 10 مرات وهي على النحو التالي :الآية 99 / الأنعام، الآية 141 / الأنعام، الآية 32 / الكهف الآية 71 / طه، الآية 148 / الشعراء، الآية 10/ ق، الآية 20 / القمر، الآية 11 – 68 / الرحمن،

الآية 7 / الحاقة. وورد لفظ (نخلاً) مرة واحدة في الآية 29 / عبس، كما ورد لفظ (النخلة) مرتين في الآية 23/ والآية 25/ مريم، كذلك ورد لفظ (نخيل) 7 مرات على النحو التالي : الآية 266 / البقرة والآية 4 / الرعد، والآية 11/ والآية 67 / النحل والآية 90 / الإسراء والآية 19/ المؤمنون والآية 34 / يس. فإذا كان القرآن الكريم قد بين لنا بالنص أن شجرة الزيتون شجرة مباركه (.... من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية) من الآية 35/سورة النور إلا أنه قد خص النخلة بهذا العدد الكبير من مرات الذكر، وهذا أيضا تبريك وتعظيم لهذه الشجرة التي لم نجد فيها إلا ما هو نافع ومفيد، لما تمثله النخلة من قيمة روحية. تعارف الناس في المناطق المزدهرة بزراعة النخيل على التكبير عند غرس النخلة، وأهل تاورغاء يقولون في هذا الصدد بعد الآذان الكامل عند غرس الفسيلة (كانك عشت نفعت وكانك متي شفعت) وهذا يدل على روحانية العلاقة بالنخلة.

من الثابت أن النخلة لها علاقة وطيدة بالإنسان ليست من فترة قريبة وإنما هي موغلة في القدم، فبينما تقول المصادر بأن عمر النخلة يعود إلى أكثر من (10.000 سنه) إلا أن الثابت بشكل قاطع معرفة

صورة رقم(1)

الفراعنة للنخلة قبل أكثر من (3500 سنة)، حيث بدأت صناعة السعفيات (ومن الثابت أن المصريين القدماء كانوا يستعملون النباتات ذات الألياف الخشنة في صناعة المنسوجات، أهمها نبات البردي والكتان وأفرع النخيل وسعفه، كما استعملوا الغاب (البوص) والسمار والحلفا وخليطاً من العشب والألياف الكتانية في صناعة الحصر والحبال، يدلنا على ذلك ما عثر

عليه في جهات متفرقة من الإقليم المصري : من عصر ما قبل الأسرات حتى الأسرة الثامنة عشرة، حيث نرى مخلفاتها أثراً واضحاً لإرتقاء المادة الخام التي صنعت منها الحصر في ذلك العهد[1].

كما عرف العرب النخلة قبل الإسلام، إلا أن ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية التي تزخر بأجود أنواع التمور وأكثف غابات النخيل في العالم قاطبة، وتكريمه لهذه الشجرة نتج عنه اهتمام كبير من جانب الصناع المسلمين بالسعيفات بشكل عام وبصناعة الحصر بشكل خاص، كونها تمثل فرش المساجد الرئيسي وكذلك تزيين الجدران مما أطلق العنان للصناع المهرة ليسجلوا لنا عبر التاريخ الإسلامي تحفاً جميلة من الحصر الملونة بالخط والزخرفة.. لا نجد ما يضاهيها اليوم ولو بالندر اليسير رغم التطور الصناعي الباهر.

ومن هذه التحف الجميلة نذكر على سبيل الذكر لا الحصر ما هو موجود بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة، وهو عبارة عن قطعتين من مراوح الهواء هما السعفيه : الأولى- مروحة متآكلة مصنوعة من سعف النخيل اللين الرقيق (وهي مصنوعة باليدين دون استعمال النول، بطريقة الضفر، والمروحة كلها باللون الأصفر الباهت وعليها شريطان من الكتابه باللون الأخضر الداكن [2]ورغم تآكل هذه المروحة إلا أنه يمكن قراءة الكتابة الموجودة عليها بالخط الكوفي العريض ذي الزوايا هكذا :- الخير فرح دنا سدنا بعجب العجيب، كما يرجح أن تكون هذه المروحة من العصر الطولوني.

صورة رقم(2)

السعفية الثانية : وهي عبارة عن قطعة بمقاس 12 × 11.5 سم من مروحة من السعف المضفور (والمادة التي صنعت فيها المروحة هي سعف النخيل الرقيق اللين، وقد لونت باللونين الأصفر الباهت والأخضر الداكن ووجه المروحه باللون

الأخضر الداكن ومنثورة بنقط صفراء باهته، أما ظهـــر المروحـــه فعلـــى العكس من ذلك، ويحيط بالمروحة إطار مكون من ستة خطوط مـــستقيمة، منها ثلاثة باللون الأصفر الباهت، وثلاثة باللون الأخضر الداكن. وتقتـــصر الزخرفة على شريطين من الكتابة الكوفيه الجميلة، باللون الأصـــفر الباهـــت علـــى وجـــه المروحه، وبالأخضر الداكن على الظهر، وقد بقى من الشريطين ما نصه (عزمن الحسن أطال) [1] كما يرجح أن يعود تاريخ هذه المروحة إلى العهد الأخشيدي.

صورة رقم(3)

كما ظلت السعيفات والنخلة بشكل عام مصدراً من مصادر الإلهـــام والإبداع عبر التاريخ الإنساني كقيمه دينية واجتماعية حتى شـــملت عـــالم الأسطورة....وكان ذلك ثابتاً في الآثار الحجرية الموجودة في منطقة بنـــي وليد، والتي تمثل الآلهة فيكتوري وهي رمز للإنتصار على الموت وعلـــى الأعداء وهذا الأثر هو عبارة عن نحت بارز على الحجر وكـــان يـــصور الآلهة كإمرأة مجنحة تحمل في يدها سعفة نخيل وفي اليد الأخـــرى إكلـــيلاً تتوج به المنتصر، ووجدت تماثيل آلهة النصر في منطقة قرزة والقريـــات الغربية ومنطقة طويل عنتر، وفي الكثير من المباني في الدواخل [1] وهـــذا الإعتقاد الأسطوري يذكرنا بأقواس النصر التي كانت تنصب حتى وقـــت قريب من سعف النخيـــل فـــي المناسبات القومية.

صورة رقم(4)

وكما رسم الفنان النخلة رسماً واقعياً أو حفراً بارزاً على الحجر قبل الإسلام ، فإنه وبعد ظهور الإسلام واتجاه الفنان المسلم إلى التجريد في الزخرفة أحتل سعف النخيل مكانته المرموقة بين الزخارف النباتية بإدخال توريقاته وتداخل خطوطها الأنيقة في أهم الأعمال الفنية سواء أكانت على الجص أو الخشب (وظاهره أخرى مهمة هي رسم الأوراق النباتية على شكل سعفات نخيلية صغيرة إزدحمت بطونها بالعروق الداخلية) [2] وقد استخدم هذا الأسلوب في الرقائق النباتية الموجودة على الجص في قصر الجعفرية في(سرقوسطة) بأسبانيا، الذي بناه أبو جعفر المقتدرسنة 438 ه – 479 ه– سنه 1046 – سنه 1086 م، حيث نجد زخرفة قوامها مراوح نخيلية مقتبسة من انصاف المراوح النخيلية العربية، ولكن كثيراً ما دخلها الإنحناء الشديد[3])

فن السعفيات

إن صناعة النسيج الآن أتت كمرحلة متطورة عن سابقاتها من مهارات متنوعة تعلمها الإنسان في مجال صناعة النسيج، فقبل صناعة الآلة، كان النول اليدوي، وسبقه النسيج اليدوي الذي ابتكره الإنسان قديماً لتوفير حاجياته ولوازمه الأساسية من منسوجات متنوعه في الشكل والوظيفة، فنسج بعضاً من أدوات المطبخ ومستلزمات البيت والحقل، والسوق بالإضافة إلى ما يحتاجه من نعال ولباس.

ورغم التطور الحاصل في جميع جوانب صناعة النسيج بإعتبارها من أهم الصناعات الحيوية للإنسان أينما كان، وعبر العصور، ومدى آفاق هذه الصناعة التي لا تقف عند حد، إلا أن بعضاً من هذه المهارات اليدوية لازالت تحافظ على طابعها وأسلوب تقديمها بشكلها البدائي والبسيط، إلا أنها تزخر بعبق الماضي وجمال التراث، فصارت فناً قائماً بذاته، يلبي كما في السابق بعض الحاجات الأساسية كدور وظيفي، كما يقدم بعض الأعمال في صورة تحف فنية كدور جمالي وفي كلتا الحالتين يحسب هذا ضمن الفنون التطبيقية التي تلبي الشكل الوظيفي والجمالي على السواء.

من هذا المنظور فإن أحد أقدم وأعرق الفنون التطبيقية هو فن السعفيات، وسمي بهذا الاسم، لأن أساس خاماته هو سعف النخيل، وكلمة

السعف ومفردها : سعفة وتعني في اللغة (واحدة السعف لجريد النخيل) وكلمة السعف : وجمعها سعوف : تعني جهاز العروس " أمتعة البيت" وجريد النخل) [1]. وربما أتت هنا كدالة على جهاز العروس أو أمتعة البيت باعتبار أن معظم لوازم البيت كانت تصنع من سعف النخيل، كما سيتم ذكرها بالتفاصيل في هذا البحث.

كما ورد تعريف السعف في اللغة أيضاً بأنه (جريد النخل، أو ورقه. وأكثر ما يقال إذا يبست، وإذا كانت رطبه فشطبة) [1]

صورة رقم(5)

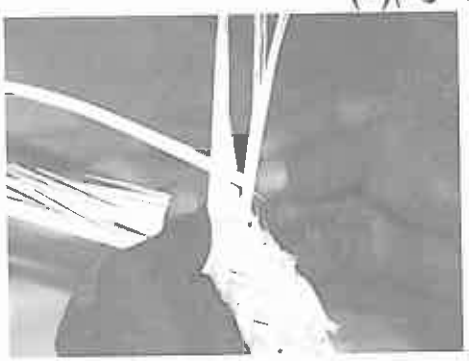

و فن السعفيات يعتبر من المهارات اليدوية التي أبتكرها الإنسان حيث يعتمد فن السعفيات على طريقة الظفر والعقد والنسج وهذه الطريقة تسبق تاريخياً النسج بطريقة السداء واللحمة على النول التقليدي، وتتم عملية الظفر بتعشيق مجموعة من السعف في اليد اليمنى مع مجموعة أخرى مماثلة لها في العدد في اليد اليسرى وعادة ما تكون أربع سعفات بكل يد، ويتم تغذيتها بسعف آخر كلما استكملت ضفيرة السعف الأول من المجموعتين، وبهذه الطريقة يمكن الحصول على شريط مضفور بعرض حوالي (6 سم) وبطول يتناسب وحجم المستهدف صناعته، فعلى سبيل المثال يحتاج الفت إلى (10 قامات سعف + 20 قامة حبل فتيل) [2].

وتجدر الإشارة هنا إلا أن فن السعفيات تدخل في إطاره كل المنسوجات النباتية المتشابهة[3]، مثل الحلفا، الاسمار، الكتان، الغاب (البوص) بالإضافة إلى ألياف وعروق النخيل.والتي لا يمكن تقديم فن السعفيات بدونها. يتوزع هذا الفن التطبيقي الجميل على مناطق مختلفة من الجماهيرية، حيث تتوفر اشجار النخيل بإعتبارها مصدر نشأة هذا الفن فنجد السعفيات تزدهر صناعتها في مناطق تورغاء ومصراته وزليطن والعجيلات، وغدامس وغات ومرزق والجغبوب والكفرة، وغيرها

ورغم أن صناعة السعفيات هي واحدة في كل المناطق، إلا أن فن تقديمها يختلف إلى حد كبير من منطقة إلى أخرى، من حيث دقة التنفيذ والنسج وأسلوب التقديم اللوني، فهناك من يقدم سعفيات ملونه بالصباغة وآخر يقدم سعفيات مزركشة بأقمشه ملونه. هذا بالإضافة إلى الغنى الزخرفي عليها أو التركيز على تقديم منتجات بعينها وإهمال أنواع أخرى، وعلى سبيل المثال لا الحصر، فإن الطبق في غات يعرف ويميز عن الطبق في غدامس والطبق الغدامسي يختلف عن طبق تاورغاء من حيث دقة النسيج والغنى الزخرفي.

صباغة سعف النخيل

لم يعثر على أثر محلي لأصباغ يتم استعمالها في صناعة سعف النخيل وعلى الأغلب كانت عملية تزيين المنتجات السعفية، تتم كما هو الحال في مدينه غدامس وغات بإضافة بعض القطع من القماش المزركش الذي يحاك على جنبات وأطراف المنتجات السعفية ونرى ذلك واضحاً على المراوح والأطباق. أو أن تبقى المنتجات السعفية على حالها دون تزيين كما هو الحال في بعض سعفيات تاورغاء، والتي يغلب عليها الطابع الوظيفي المحض، كما هو الحال في انتاج النعال أو (البرسيل) وهو إناء يصنع لحفظ التمور.

أما الأصباغ المستعملة منذ عشرات السنين، فهي مستوردة من الخارج وتباع على هيئة حصو كملح الطعام المجروش، فيتم طحنها وسحقها جيداً قبل الإستعمال، وطريقة استعمالها تتم بأخذ ملعقة كبيرة لكل عشرين لتراً من الماء حيث تغلى على النار في إناء فسيح من الألمونيوم لمدة تتراوح بين (60-إلى 90) دقيقة، وأثناء الغليان يضاف سعف النخيل المراد

صباغته ليظل على النار لمدة لا تقل عن (30 دقيقة) ثم يترك حتـــى تبـــرد الصبغة، فيؤخذ ويفرش على سطح نظيف على هيئة سطور حتى يتم تجفيفه بالكامل، أما الوان الصبغة المستعملة في تزيين السعيفات فتكون في العـــادة من لونين وهما اللون الأزرق الغامق المائل إلى السواد، بالإضافة إلى اللون البنفسجي، ومع استعمالهما مع لون السعف الخام والذي يأخذ اللون الأخضر المزرق الفاتح أوالمائل إلى الصفرة، وهو في العادة يمثل لون الأرضـــية، فإنها جميعاً تشكل تكوينا لونيا ذا عناصر زخرفية هندسية أو خطية جميلة.

الخامات المستعملة في فن السعفيات

تختلف احتياجات كل منتج من المواد الخام اللازمة في فن السعفيات إلا أنه وبشكل عام يعتمد فن السعفيات على ثلاثة عناصر أساســـية يمكـــن تسميتها بأنها مواد أولية، وهي على النحو التالي :

1. مواد ربط
2. مواد نسج
3. مواد تزيين

أولاً : مواد الربط : وتنقسم إلى شقين

أ- ***الشق الأول*** / وهو الألياف النخيلية وهي متدرجة الجودة وكلما اقتربت من لب النخلة كلما ارتفعت درجة جودتها الكامنة في مواصـــفات الطـــول، والقوة الليونية والنعومة. تؤخذ هذه الألياف لتفتل وتبرم لتتحول إلى خيـــوط رقيقة تربط وتشد بها الأشرطة السعفية المضفورة بعـــضها إلـــى بعـــض للوصول إلى انتاج سعفية متكاملة من السعفيات، كالقبعات والقفاف وغيرها. أو أن تجمع هذه الخيوط الليفية وتبرم بعضها ببعض لتشكل حبالاً غليـــضة أكثر سمكا وأكثر قوة لتصنع منها (علاقات) مقابض القفـــاف ، والقـــدقود، والفت وغيرها من السعيفات المتنوعة.

ب- ***الشق الثاني*** : يتكون من أعواد النخيل (الجريد) لإستعمالها على سبيل المثال مقابض للمراوح، أو يتكون من أسياخ العراجين ، وهذه تحديداً لهـــا من القوة والقدرة على الأنتناء. ما يمكنها من التأقلم مع التدويرات المطلوبة في صناعة الأطباق على سبيل المثال لا الحصر، حيث تلف علـــى شـــكل

دائرة ويلف عليها السعف الخالص ليشكل حلقة قوية من حلقات الطبق، والذي يصنع على هيئة حلقات متفاوته الأحجام تحاك بعضها ببعض بواسطة خيوط الليف الرقيقة

ثانياً : مادة النسج :

وتكون في العموم من سعف النخيل، إلا إذا اضفنا نبات الحلفا والسمار والكتان وغيره تحت إطار السعفيات كما ورد سابقاً، والسعف ايضاً ينقسم إلى ثلاثة اقسام وهي : أ- السعف اللين وهو ما يؤخذ من قلب النخلة ويعتبر من أجود أنواع السعف ويتميز بالنعومة والمرونة وصغر الحجم، مما يكسبه خاصية التكيف مع عملية النسج الدقيق المصقول فتصنع منه السعفيات القيمة؛ مثل: (العمرة) وهي عبارةعن إناء صغير به غطاء تستعمله السيدات لحفظ المصوغات المعدنية، كذلك تستعمل حافظة للخيوط والإبر وغيرها من الحاجيات الصغيرة.

صورة رقم(7)

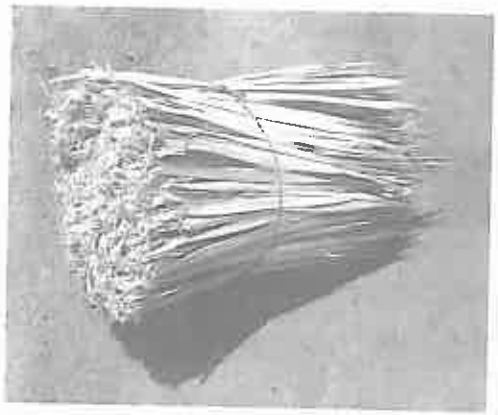

ب السعف العريض :- وهو ما يؤخذ من أطراف النخلة وهو أطول من سابقه وأعرض، حيث يصل عرض السعفة إلى 2.5 سم. كما تجدر الإشارة هنا إلى أنه يختلف في حجمه من فصيلة نخل إلى أخرى، وهو يستعمل في نسج السعفيات على نطاق واسع فيؤخذ وهو طري لتقسم كل سعفة إلى نصفين، ثم يربط في حزم كل حزمة تقدر بمقدار(10-12 قامة) وهي طول الشريط المضفور من حزمة السعف [1]

وهذا الشريط يتم انتاجه بنسج وتعشيق أربعة انصاف من السعف في اليد اليمنى مع مثلها في اليد اليسرى بالتناوب، وكلما استكملت سعفة يغدى

بسعفة أخرى من الحزمة التي تكون قريبة من صانع الضفيرة إلى أن تكتمل حزمة السعف وتتحول إلى شريط مضفور بالكامل.

ج- سعف الخياطة :- ويعرف هذا النوع من السعف ب(الشريك) وهو عبارة عن فصل السعفة إلى نصفين وكل نصف يقسم طولياً إلى جزئين ، وهنا يمكن استعمال الشريك كخيط لربط شريط الضفيرة ببعضه بعد تدويره، وذلك للوصول إلى استكمال انتاج سعفية من السعفيات.و للشريك اسخدام آخر، وهو ضربه بالحجر ليتحول إلى الياف رقيقة تفتل وتحول إلى حبال تصنع منها المقابض الرقيقة.

ثالثـــاً : مـــواد التـــزيين

صورة رقم(8)

وهي في العادة تنقسم إلى قسمين وهما :-

أ- التزيين بالصباغة وهذا النوع من تزيين السعفيات يستوجب تغدية شريط الضفيرة من حين لآخر ببعض انصاف السعف المصبوغ سلفاً ، وبألوان محددة (كما ذكر سابقاً خلال هذه الدراسة).

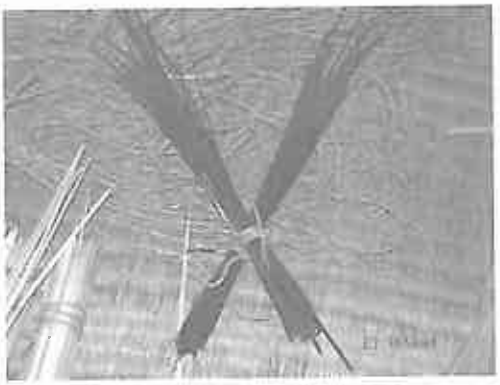

صورة رقم(9)

ب -التزيين بالأقمشة المزركشة :- وهي تظهر بوضوح على الطبق الغدامسي حيث يتم إحاكة بعض الأقمشة المزركشة على هيئة أشرطة ملونة تلف على حلقات الطبق أثناء التنفيذ، كما تضاف كومات من الخيوط النسيجية على شكل كتل موزعة على أطراف الطبق وعند صحنه الأعلى. وذلك لإضفاء نوع من البهجة عند تقديم الوجبات لإكرام الضيف.

المنتجات السعفية

كما هو معروف فإن السعفيات في مجملها لا تعني فقط المصنوعة من السعف الخالص، بل يدخل في عمل السعفيات بعض العيدان واسياخ العراجين الرطبة، وكذلك الألياف، بالإضافة إلى أن السعف بذاته يؤخذ على هيئة خيوط رقيقة تسمى (الشريك) بعد ضربه بالحجر، ليبرم وتصنع منه الحبال، التي هي بدورها تصنع منها مقابض متنوعة للمنتجات السعفية وتتنوع المنتجات السعفية بتنوع الغرض أو الوظيفة، فهناك مثلاً سعفيات التسوق مثل : العلاقة، القفة، الشمسية، الميزان أو سعفيات المطبخ مثل: الفت، الطبق، القدقود، المقطف،البرسيل، الكسكاس. أو سعفيات البيت مثل : النعال الصيفي والشتوي، المراوح، المكنسة، والمنشة. كذلك سعفيات الصيد مثل الفخ، الحبالة أو سعفيات الألعاب مثل : بوجرمي – باباكيري – عصي الريح. هذا بالإضافة إلى الكثير من الأدوات والمستلزمات الأخرى التي لا تختلف في تركيبها وطريقة نسجها عما ذكر..لهذا نذكر بعضاً من هذه السعفيات بالتفصيل :-

1) المقطف: وهو مصنوع من السعف الخام وقليل من السعف المصبوغ لإيجاد بعض الزخارف البسيطة على وجهي المقطف كنوع من التزيين، وله مقبضان من (الليف) المبروم ليشد أو يعلق المقطف من خلالهما ويستعمل المقطف عادة لحمل وحفظ الخبز

صورة (10)

2) العلاقة : مصنوعة من السعف الخالص ولها مقبضان على شكل نصف دائرة منسوجان من (الليف المبروم) كما هو الحال في المقطف، تستعمل العلاقة في حمل الخبز والخضار وخلافهما من حاجيات السوق، ولها أحجام مختلفة

أكبرها هي تلك التي تستعمل في الأفـــراح وتـــسمى (علاقـــة العـــروس) أو (القفة)بحيث تضم بداخلها كل المستلزمات أو البخور وخلافهما.

3) البوط : ويتكون من نفس العناصر والمكونات الداخلـــة فـــي صـــناعة (العلاقة) وشمل تقنية التزيين ذاتها وكذلك الالوان ، كما للبوط أيضا نفـــس الوظيفة تقريبا ، إلا أنه يصنع على جزأين يمثل كل جزء نصف البوط الجانبي ثم يحاك النصفان بحبل من الياف النخيل ليأخذ الشكل النهائي .

صورة رقم(12)

4) القبعة (الشمسية) :- وهي في الغالب لا تزين وتستعمل عند الخروج للتسوق أو استعمالها عند الوقوف لمدة طويلة تحت الشمس، كمـــا عنـــد تجـــار الـــسوق أو الباعـــة المتجولين، كما تنسج من السعف الغليظ الذي يسمح بالتهوية.وتحتاج لتنفيذها في حدود(5) قامات سعف و(3) قامات حبل إحاكة.

صورة رقم(14)

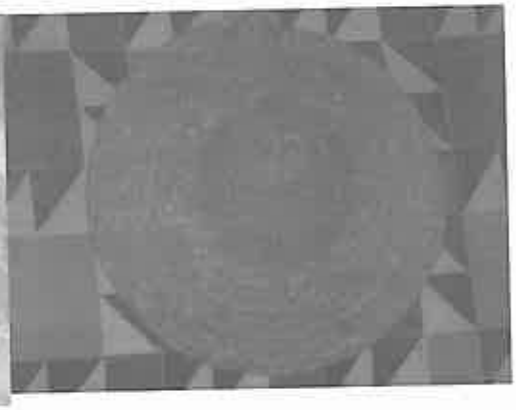

صورة رقم(13)

4) الطبق (طبق القصعة) : وكلمة طبق في اللغة تعني غطـــاء كـــل شـــئ وجمعها : أطباق. والطبق متطابق عند الإغلاق مع(القصعة) صحن الطعام، وإذا ما أخذنا الكلمة (طبق) فإن إحدى مسمياتها هي : الصحن، فيقال(فـــي طبق من ذهب)، كما تقدم في طبق الفاكهة والتمور تحديداً ويصنع الطبـــق من برم سعف النخيل على اسياخ من العرجون الرطب التي تـــدور علـــى شكل دوائر مختلفة الأحجام، لتأخذ عند ربطها، الشكل المخروطي للطبـــق كما تزين بالسعف المصبوغ على هيئة اشكال هندسية، و تزين بقطع مـــن القماش المزركش بألوان متباينة تبرم مع السعف على سيخ العرجون اثنـــاء التنفيذ وهي تختلف في مظهرها من منطقة إلى أخرى ، ففي حين أن أهـــل تورغاء يؤكدون أن عرجون نخلة (أم خناش) يعطي أفضل وأقوى الأطباق، إلا أن السمعة الجيدة لازالت تحيط بالطبق الغدامسي.

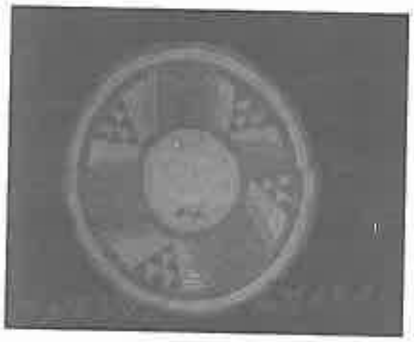

صـــــــــورة رقـــــــــم(15)

صورة رقم(16)

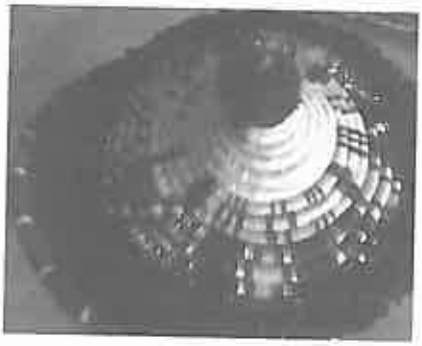

5) البرسيل : يصنع خصيـــصاً لحفـــظ التمور المعجونه وهو عبارة عـــن إنـــاء دائري الشكل تقريباً فسيح مـــن الـــداخل يصغر قليلاً عند العنق، ليس له غطـــاء، يـــصنع عـــادة مـــن ســـعف النخيـــل العريض،ولا نجد أي زخارف أو تزيينات على جنبات البرسيل، وذلـــك لـــسببين: أولهما أن البرسيل يصنع دائماً لحفظ وتخزين التمور فقط، والسبب الثـــاني: أن تصميمه منذ البداية كان

ليقطع مع التمور التي بداخله عند الحاجة إليها فهو بتعبير آخـــر يـــستعمل لمرة واحدة فقط، كما نجد للبرسيل أحجاماً متفاوته تعـــد لتـــسويق التمـــور المعجونه حسب الطلب، فتتراوح عبوات البرسيل (من 5 إلى 20 كيلوجرام) من التمور..ومن الخصائص المهمة للبرسيل أن ســـعفه العـــريض يـــسمح بتهوية كافية تمنع التعفن ، كذلك بخلوه من الأصباغ يحـــافظ علـــى مذاقـــه الأصلي.

صورة رقم (18)

صورة رقم (17)

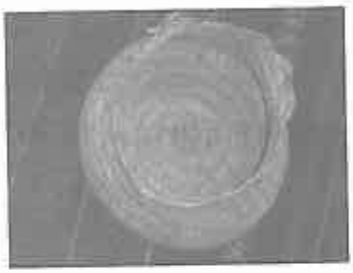

6) الفت : وهو عبارة عن مفرش دائري من السعف المزخرف ، يطـــرح على الأرض على شكل دائرة قطرها يتراوح بين 100 ســـم و 120 ســـم ويستعمل بشكل خاص للأكل، حيث توضع عليه مأدبة الطعام، ولـــه عنـــق صغير محاك بين فتلات السعف ليعلق منه على الجدار. وعادة تتم زخرفـــة الفت بالسعف المصبوغ بثلاثة ألوان على الأغلب، بحيث تبدأ عملية ربـــط الضفيرة من داخل الدائرة إلـــى خارجهـــا، وحيـــث أن الـــدوائر الداخلية يكون قطرها أقصر، فإن الزخارف المنسوجة أصلاً على شريط الضفيرة تكون متقاربـــه بشكل تبـــدو عليـــه أدق وأكثـــر تعقيداً ، ثم تتباعد مع تعاظم حجم الدوائر الخارجية للفـــت كمـــا يظهر الانقطاع النهائي للتـــشكيل الزخرفي مع اســـتكمال الـــدائرة الأخيرة للفت.

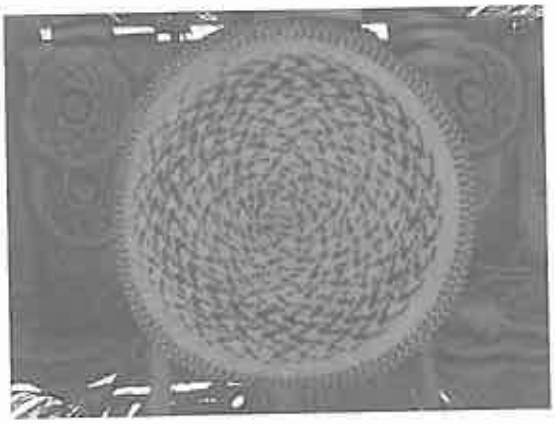

صورة رقم (19)

7) الميزان : وهو عبارة عن عصا من جريد النخيل معلق على طرفيها كفتي الميزان ، وهما مصنوعان من السعف الخالص، ولكل واحدة منهما أربع مقابض لضمان اتزان كل كفة، يربط

صورة رقم (20)

بكل مقبض حبل من الياف النخيل وتشد الحبال الأربع على أحد طرفي العصا، كما يتوسط الميزان من أعلى حبل آخر مصنوع من الألياف أيضاً وبطول (20سم) تقريباً يستعمل كمقبض وحيد للميزان، حيث تتدلى الكفتان إلى الأسفل ليوضع بهما الشئ المراد وزنه، وهي في الغالب من الخضراوات (وهناك أيضاً مكيال للدقيق والسميد يصنع كذلك من سعف النخيل، ويسمى عند الطوارق (تناقسات)، إلا أن هذا يغلف من الأسفل بالجلد) [1].

8- النعال :- وتصنع أيضاً من منتجات النخيل وهي نوعان من النعال :الأولى وهي خفيفة : وتنسج بالكامل من سعف النخيل.

صورة رقم (21)

صورة رقم (22)

والثانية تصنع بالكامل من ألياف النخيل، وهي ثقيلة بعض الشئ، إلا أنها الأكثر متانه من سابقتها... وفي كلا النوعين يتم التصنيع بنفس طريقة فتل الحبال أو الظفيرة.

9) العمرة : وهي من ضمن المستلزمات البيتية، وتستعمل في حفظ الأشياء الخاصة بالسيدات ، ومنها أحجام متعددة تتراوح بين الصغيرة والمتوسطة، ولها غطاء محكم بمقبض من نفس الخامة ، ويتفاوت استعمالها بين حفظ المصوغات المعدنية من ذهب وفضة، إلى حفظ الإبـــر والخيـــوط وأدوات الإحاكة، كما تستعمل الأحجام الأكبر في حفظ البقول والتوابل وخلافها. أما بالنسبة للمواد الخام والتصنيع فهي لا تختلف عن صناعة الأطباق كما تشبهها إلى حد كبير في التزيين، وذلك باستعمال الأقمشة الملونة.

صورة رقم (23)

صورة رقم (24)

10) المـــراوح / وهـــي نوعـــان الأولى: تـــستعمل لإيقـــاد النـــار وتوهجها وهي من المـــستلزمات الأساسية لتحـــضير الـــشاي العربـــي وتسمى في بعض المناطق (مروحـــة الزوي.) وهي في العادة مضفورة من السعف الخشن العريض علـــى شـــكل دائرة لا يزيد قطرها من (25 سم)

صورة رقم (25)

وتثبت على مركزها عصا (وهي أيضاً من جريد النخيل) وبطول (35 سم تقريباً) إلا أنها تكون في العادة خالية من أي زخارف أو أصباغ. أما النوع الثاني من المراوح فيتمثل في(مروحة الوجه) الشخصية، وتستعمل لتبريد الهواء أيام الصيف، وتكون في العادة على شكل مربع مثبت أحد أضلاعه على عصا تكون أيضا من جريد النخيل وهي في العادة

صورة رقم (26)

بطول (35 سم) تقريباً في حين أن اضلاع المربع لا تزيد عن (20 سم) وتتميز مروحة الوجه عن(مروحة الزوي) بزخرفتها الدقيقة بطريقة السعف المصبوغ والمأخوذ من سعف (قلب النخلة) اللين الذي يمتاز بالدقة وصغر الحجم، كما يتفنن صناع غدامس وغات بإضافة بعض الأقمشة الملونه على أطراف المروحة على هيئة شريط يحيط بالمروحة للتجميل وزيادة متانتها ، وأيضاً على هيئة كومات من الخيوط المصبوغة بألوان زاهية ومتباينه لإضافة مسحة من البهجة للتخفيف من وهج الصيف.

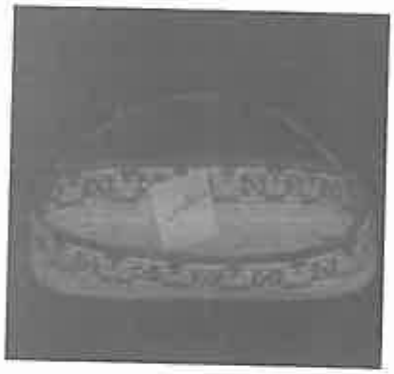

11) الكاليس : وهو نوع آخر من الأواني التي تقدم فيها الفاكهة ولا سيما التمور وتختلف تسميتها من منطقة إلى أخرى إلا أن تسمية : (الكاليس) دونت في منطقة الواحات تحديداً.

صورة رقم (27)

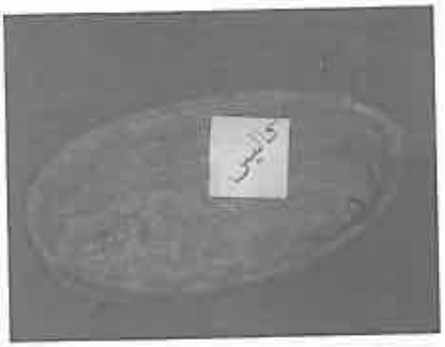

والكاليس في العادة يأخذ الشكل البيضاوي ، ويزخرف بطريقة السعف المصبوغ على هيئة اشكال هندسية أو اشرطة تحوي الألوان : الأخضر والبنفسجي والأزرق ويمكن أن نشاهد الكاليس بمقبض أو بدونه، ومن نفس الخامة (الياف العرجون الرطب المغطاة بسعف النخيل الخام والمصبوغ).

صورة رقم (28)

القدقود :- وهو يشبه (العلاقة) من حيث الوظيفة- فهو يستعمل للتسوق وحمل الفاكهة والخضار وكذلك حفظ الخبز، إلا أن القدقود من حيث التكوين ينفرد بشريط من السعف المدعوم بحبل رفيع مفتول من السعف أيضاً للتعليق، كما يتخلل شريط التعليق المضفور غطاء بيضاوي محكم ،وهو من السعف الخام الذي يزين عادة بطريقة السعف المصبوغ : ويعتبر القدقود من أدوات الحمل النادرة التي لا يدخلها الحبل الليفي أو اسياخ العرجون الرطبة ، فتظل صناعتها خالصة من السعف (ضفيرة وخيط سعفي للإحاكة وسعف مصبوغ).

صورة رقم (29)

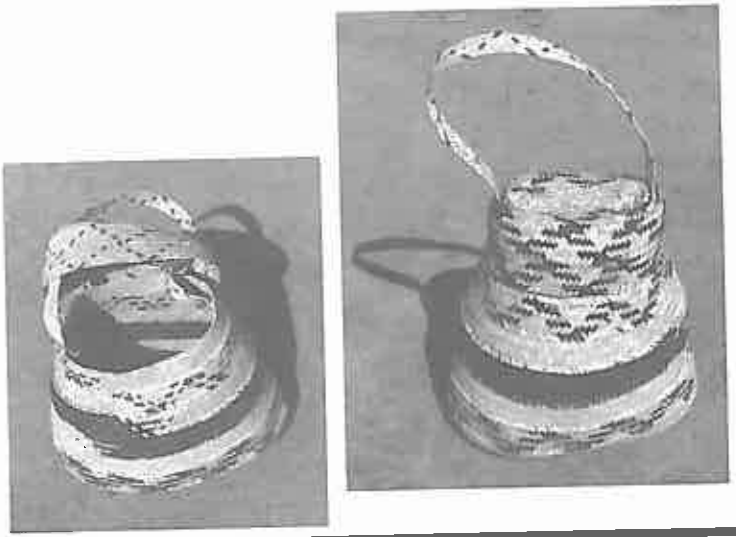

- **الألعاب الشعبية:-**

لم يقتصر ارتباط السعفيات بحاجات الإنسان المادية من أدوات ومستلزمات يومية فقط بل تعداها إلى الإلتصاق بعاداته وتقاليده الشعبية والتي منها الألعاب اليومية للأطفال كلعبة (عصي الريح) والتي فيها يصنع الأطفال مروحة هوائية على هيئة مربع أو شكل سداسي وتثبت بمسمار على مقبض من جريد النخل، أو تصنع خواتم تلبس في الأصابع، وهي من السعف أيضاً، وربما هذه الألعاب الطفولية تدخل في اطار تعليم النشء فن السعفيات منذ الصغر، وكذلك لربطها مبكراً بشجرة النخيل كقيمة.

كما تزخر واحات النخيل بالألعاب والتقاليد الشعبية نذكر منها : لعبة (بابا كيري) وهي عنوان لإنشودة ، يتغناها الصبيان في عاشوراء حيث يتقدم فيها أحد الصبيان ليرتدي طاقية من السعف الخالص، وحزام يحيط بالخصر مصنوع من (الليف المبروم) وتتدلى منه بعض الحبال الليفية ، ويمسك بعصا من جريد النخل أيضاً ليتغنى بأنشودة : بابا كيري دقم قاجي بابا كيري تكيس كيسا [1]

كما يمكن أن نسجل لعبة شعبية أخرى مشابهة تسمى (بو جرمبي) إلا أن هذه اللعبة الشعبية يرتدي فيها الشاب إكليلاً من السعف على رأسه يسمى (تفوكة)، كذلك الحزام من السعف الخالص، بالإضافة إلى تعليق قدقود على ذراعه اليمنى والأخرعلى ذراعه اليسرى، وذلك لجمع الطعام والهدايا عند المرور بالبيوت، وهذا التقليد يتكرر كل يوم عاشوراء من كل عام [2]... ولأن يوم عاشوراء يحتفل به وبشكل خاص في كل المناطق كل حسب طريقته ، فإن هناك (اعتقاد لدى الطوارق في قيمة هذا اليوم تقدر فيه أعمارهم وما يحدث لهم طوال السنة، ففي هذا اليوم يتزين الرجال والنساء بأكاليل من سعف النخيل، وهو منظر غريب الشكل ويتحرك هذا الجمع تحت نور قمر باهت) [3]

الخاتـــمة

في نهاية هذا البحث يؤكد الباحث أهمية هذه الدراسات والتي يـــرى من خلالها تسليط الضوء على الكثير من الفنون الشعبية التي لا تخلو مـــن قيمة نفعية كما تفتح أفاقا رحبة نحو التوغل في مناحي الحيـــاة الإجتماعيـــة للوقوف على مراحل التطور الثقافي والإجتماعي.

وفن السعفيات كما تم ذكره ليس كل ما تنتجه النخلة، بل تعداها إلى لعب دور أساسي وأكبر في صناعة الأثاث والتصميم الداخلي بـــشكل عـــام وهنا يشير الباحث إلى الإهتمام بمثل هذه الدراسات لتبيين الدور التـــاريخي لهذه الشجرة وما تقدمه حتى اليوم من منافع كثيرة ومتنوعة.

وربما الوقوف على الدراسة الميدانية يعطي كثيراً من الإضافة على مستوى الدراسات السابقة التي تتميز بندرة مصادرها فـــي هـــذا المجـــال بالإضافة إلى إعطاء الفرصة لإكتشاف بعض الجوانب المهارية والإبداعية التي يتوارثها الأجيال دون أي توثيق مكتوب، كما يرى الباحث أن ما سجل من خلال هذا البحث من توثيق لمواد إنتاج الـــسعفيات وطـــرق صـــناعتها وتنوع أشكالها يعتبر مدخلاً لدراسات أعمق وأشمل في إتجاه دراسة تـــاريخ الفن بشكل عام والتحليل ودراسة اللون والخط والزخرفة بشكل خاص، وكل هذا بالتأكيد يسلط الضوء على جوانب كثيرة من الحياة الإجتماعيـــة التـــي لازالت غير معروفة خلال حقب تاريخية مختلفة، والله نسأل التوفيق ومـــا توفيقي إلا من عند الله.

فهرس الصور

1- غرس الفسيلة
2- بقايا مروحة من العصر الطولوني(1)
3- = = = = الاخشيدي(2)
4- نحت على الحجر لآلهة النصر
5- طريقة ضفر الشريط السعفي
6- مجموعة من سعفيات مرزق
7- حزمة من السعف
8- فتل حبل الإحاكة
9- سعف مصبوغ
10- المقطف
11- العلاقة
12- البوط
13- القبعة
14- تاورغي يرتدي القبعة
15- طبق من غات
16- = من غدامس
17- برسيل معبأ بالتمر
18- = التمر
19- الفت
20- الميزان
21- مداس سعفي
22- مداس ليفي
23- عمرة من تاورغاء
24- = = الجفرة
25- تاورغي يمسك مروحة الوجه
26- سعفيات تظهر فيها مروحة الزوي
27- الكاليس مزود بمقبض
28- = بدون مقبض
29- قدقود مفتوح
30- = بغطاء محكم

المـــراجـع

1- إيناس حسني – أثر الفن الإسلامي على التصوير في عصر النهضة، دار الجيل الطبعة الأولى 2005 ص 147.

2- الطاهر الزاوي – مختار القاموس، الدار العربية للكتاب، 1980 ص 300.

3- الفاظ القرآن الكريم الدار العربية،1973 الجزء الثاني ص 498.

4- المنجد الأبجدي – لبنان دار الشرق الطبعة العاشرة 1998 ص 550.

5- الهادي المبروك الدالي- قبائل الطوارق- بنغازي ليبيا – دار الكتب الوطنية الطبعة الأولى 2006 ص 325.

6- بشير حسن الحلو – العمر 62 ودان الجفرة 2007 – (مقابلة شخصية).

7- سعاد ماهر محمد – الفن في الحصير المصري – القاهرة مجلة تراث الشعب – السنة – العدد ص 67.

8- سعاد ماهر محمد – النسيج الإسلامي – القاهرة دار الشعب – 1977 ص 214.

9- علاء الدين حسن – سوريا الحسكة بريد الكتروني ala – h@ scsnat. Org.

10- عمر عبد القادر إقدورة العمر 65 سنه (حرفي مقطف) – تاورغاء 2006 (مقابلة شخصية).

11- مشروع مسح الصناعت التقليدية بالجماهيرية – المجلد الأول – طرابلس الجماهيرية 205 ص 129.

12- ميلاد احمد جرانه – العمر 75 سنه- الجماهيرية سوكنه -2007 (مقابلة شخصية).